الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ
المستوى: أولى ماستر (تاريخ الوطن العربي المعاصر)
محاضرة في مقياس: المشرق العربي والدولة العثمانية (1840م – 1920م)

عنوان المحاضرة

الاتصالات البريطانية ـ العربية وثورة العرب ضد الأتراك 1916م

ـــ تمهيد:

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي كانت معظم البلاد العربية تحت سيطرة الدولة العثمانية، ومع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين كان العرب قد دخلوا في صراع مع هذه الدولة من أجل الاستقلال عنها، وفي ظل هذه الظروف المتردية كانت الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا تتحين الفرصة للإطاحة بالدولة العثمانية، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى وانضمام الدولة العثمانية إلى دول المحور، سارعت بريطانيا إلى الاتصال بالشريف حسين، نظرا لما يتمتع به من نفوذ في المنطقة، وذلك خدمة لمصالحها وبالفعل لعب الشريف حسين دور فعال في مجريات الأحداث خلال هذه الفترة.

ومن هنا نطرح الإشكال التالي:

ما طبيعة علاقة الشريف حسين بالعثمانيين والبريطانيين؟

أولا ـــ تعريف الثورة العربية:

مجموع العمليات التي قام بها الشريف حسين بن علي شريف مكة ضد الاتحاديين الطورانيين الذين كانوا يهيمنون على دواليب الحكم في الدولة العثمانية، وقد استخدم الثورة لتوحيد كلمة عرب شبه الجزيرة ضد ظلم الأتراك – الاتحاديين - و وجه جهوده للعناية بالوحدة العربية وحفظ استقلال العرب.

وتعرف أيضا على أنها الثورة التي قام بها العرب بقيادة الشريف حسين وبدعم من بريطانيا ضد الدولة العثمانية في جوان 1916م، وكانت تهدف إلى إقامة دولة عربية موحدة مستقلة، حيث أن هذه الثورة لم تكن ثورة حجازية بل عربية استهدفت تحرير الأقطار العربية واستقلالها ووحدتها.

و هناك من عرفهاعلى أنها قضية عربية وفرع من المسألة الشرقية ومن أهم مسببات الحرب العالمية الأولى.

ثانيا ـــ أسبابها:

في 29 جوان 1916م أصدر الشريف حسين بيانا يدعو فيه المسلمين إلى الثورة على الدولة العثمانية وقد بدأه بقوله (هذا منشورنا العام إلى إخواننا المسلمين ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين).

إلا أننا نعتقد أن ثورته لم تكن ضد الدولة العثمانية كدولة ولا ضد شخص السلطان بقدر ما كانت ضد الاتحاديين الذين يهيمنون على مفاصل الدولة وكان له عليهم مآخذ كثيرة من بينها:

أ ـ سلبهم سلطة السلطان وحقوقه في اختيار المرشحين لشغل المناصب العليا في الدولة.

ب ـــ تلاعبهم بأموال الدولة وأخذها بالقروض.

ج ـــ زجهم بالدولة في حروب أوروبية عقيمة خرجت منها خاسرة، واتخذهم من هذه الحروب مطية لاستنزاف ثروة الأمة وذريعة للتنكيل بجميع المخالفين لهم.

د ـ إضاعتهم لأغلب ولايات الدولة لاسيما في أوروبا الشرقية وشمال إفريقيا الكثير من ولاياتها التي كانت خاضعة لها مثل كالبوسنة والهرسك وألبانيا ومقدونيا و الجزائر وتونس وطرابلس الغرب.

ه ـ أثارتهم الأحقاد بين مختلف العناصر العرقية المكونة للدولة العثمانية لانتهاجهم سياسة تتريك شعوبها لاسيما في المشرق العربي، مما أوجد هوة سحيقة بين العرب والأتراك.

و ـ اضطهادهم للعرب ومحاولتهم وأد اللغة العربية في جميع الولايات العربية بإلغاء استخدامها في المدارس والدواوين والمحاكم، ويعتبر ذلك من أكبر المفاسد التي ارتكبوها في حق الدولة والعرب.

ز ـــ انحرافهم عن الدين الدين وتشجيعهم للفئات التي تهاجم الإسلام.

ك ـ مصادرتهم لممتلكات وأموال أغلب العائلات العربية وطردهم إلى بلاد الأناضول لاسيما المغضوب على أفرادها لأسباب سياسية.

ل ـ انتهاكهم حرمة الكعبة الشريفة واستهانتهم بالسلطان وأن السكوت على تصرفات هذه الفئة الباغية ليس من مصلحة الدين والدولة.

ويعتقد جورج أنطونيوس ـــ صاحب كتاب يقظة العرب ـــ أن ثورة الشريف حسين هي ثورة إسلامية وقومية، لأن الشريف حسين جعل منها واجب ديني وقومي حينما هاجم الأعمال المنافية للإسلام التي قام بها الاتحاديين كالطغيان والإعدامات التي قام بها جمال باشا وأنور باشا وطلعت باشا وحملهم المسؤولية المباشرة على أعمال الإرهاب في بلاد الشام.

ثالثا ـــ أهدافها:

يمكن تلخيص الأهداف الثورة في الأتي:

أ ـ تكوين دولة عربية مستقلة باعتبار العنصر العربي من أقدم الأمم وأرقاها وذو مجد عظيم.

ب ـ إنقاذ الحجاز مهد الإسلام مما حل به من بلاء وشقاء على يد العثمانيين وتخليصه من الحكم التركي البعيد عن الدين.

ج ـــــ الانسلاخ عن الدولة العثمانية.

- تخليص العرب والبلاد العربية رمة من نير الظلم التركي الذي أثقل كاهلهم.

ويظهر أن للشريف حسين أهداف خاصة نلمسها في عرض علاقته ببريطانيا عن طريق مراسلته مع السير ماكماهون.

رابعا ـــ علاقة الشريف حسين بالبريطانيين:

منذ مؤتمر برلين عام 1878م بدأت بريطانيا تتخلى شيئا فشيئا عن سياستها القديمة في الحفاظ على كيان الدولة العثمانية، وأصبحت تطمح وطمع في احتلال أجزائها الواحد تلوى الآخر ابتداءا بمصر وعدن، وبعد أن كانت تكتفي بتشجيع واحتضان المناوئين للدولة العثمانية من العرب والأتراك، وجدت نفسها إثر الهزائم المتتالية التي منى بها الحلفاء في مطلع الحرب العالمية الأولى مضطرة للسعي الجدي إلى فصل العرب عن الدولة العثمانية والإجهاز عليها، فقامت بمحاولة من خلال اللورد كيتشنر والسير رونالد ستورز سكرتير الشؤون الشرقية في دار الاعتماد البريطاني وماكماهون للاتصال بالشريف حسين عن طريق ابنه عبد الله عندما كان متجها من مكة إلى القسطنطينية مرورا بالقاهرة، وقد حاول الأمير عبد الله بدوره وبأسلوب حذر أن يعرف موقف الإنجليز إن قام الأتراك بعزل والده من شرافة مكة وقيام ثورة عربية في الحجاز.

رغم أن هذه المحادثات لم تنته إلى نتيجة عملية لكنها كانت ذات أثر فعال في سير الأحداث المستقبلية، فقد كتب كتشنر إلى حكومته قائلا: "إن من المفيد مراقبة التطورات لأن العرب يبدون متحمسين"، كما أشار ستورز في مذكراته "أن الأمير عبد الله سأله إن كانت بريطانيا على استعداد لتقدم إلى الشريف... المدافع الرشاشة للدفاع ضد الأتراك".

ثم تساءل الإنجليز عن موقف الشريف حسين في حال دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وهل سيكون "معنا أم علينا"، وتلقوا الرد من الأمير عبد الله. الذي جاءته رسالة أخرى من السير ريجنالد وينجيت الحاكم الإنجليزي العام للسودان، لكن الشريف حسين في هذه المرحلة اكتفى بالحياد وعدم تقديم أي مساعدة للدولة العثمانية التي كانت قد دخلت الحرب فعليا في 29 أكتوبر 1914م، وتم الاتفاق على أنه في حال مساعدة العرب لبريطانيا في الحرب ضد العثمانيين فهي تتعهد بمنع وقوع أي أذى على بلاد العرب، وأنه من الممكن تولي عربي منصب الخلافة في مكة والمدينة.

اندفعت بريطانيا في أفريل 1915م إلى أبعد من ذلك حينما خولت السير ريجنالد وينجيت حاكم السودان إذاعة تعميم حكومي يجعل الشرط الأساسي للصلح

عند انتهاء الحرب: بقاء شبه الجزيرة العربية والأماكن المقدسة الإسلامية في حوزة دولة مستقلة ذات سيادة.

ارتبط الشريف حسين ببريطانيا عن طريق مجموعة من المراسلات المتبادلة بينهما في مرحلة المفاوضات وفي مرحلة الاتفاق. فمراسلات مرحلة المفاوضات بدأت من جويلية 1915م حتى جانفي 1916م وتناولت مسألة المساعدة المتبادلة، مسألة الحدود. وعددها أربع رسائل من الشريف وأربعة ردود من السير ماكماهون، أما مراسلات مرحلة الاتفاق التي كان آخرها رسالة هنري ماكماهون بتاريخ 10 مارس1916م، فهي تناولت متطلبات الإعداد للثورة من توفير السلاح والذخائر والأموال والمؤن.

- 14 جويلية 1915م أرسل الشريف حسين مذكرة إلى مقر المعتمد البريطاني في القاهرة، اشتملت على ملخص لبروتوكول دمشق الذي يتضمن الشروط التي يشترطها العرب نظير مشاركتهم في الحرب ضد الدولة العثمانية وحلفائها، مع إضافة شرطين يتعلقان به شخصيا وهما: أن تدعم إنجلترا إعلان خليفة عربي للمسلمين، وأن البنود الخاصة بالمساعدة المتبادلة تظل سارية مدة خمسة عشر عاما، وقد تمدد باتفاق الطرفين.
- قال ستورز في تعقيب له على هذه الرسالة "ينبغي للحسين أن يرضى بأن نسمح له بالاحتفاظ بولاية الحجاز" وأيضا" إن الحسين يعرف أنه يطلب كأساس للمفاوضات أكثر بكثير مما له الحق فيه.
- 30 أوت 1915م جاء رد المندوب السامي البريطاني السير هنري ماكماهون مراوغا بدافع إبقاء الخيوط متصلة مع الحسين، فلم يتضمن ردا صريحا بالبقول أو الرفض، ذاكرا له :أن مصالح العرب هي مصالح إنجلترا، ومصالح إنجلترا هي مصالح العرب" وإن بحث الحدود ينبغي تأجيله إلى ما بعد انتهاء الحرب.
- أرسل الحسين رسالة أخرى إلى ماكماهون تعبر عن دهشته مما في رده من غموض وبرودة وتردد، واتهمه فيها بالإحجام عن مناقشة موضوع الحدود موضحا أن تلك المطالب والاقتراحات ليست صادرة عن شخصه وحده، بل هي مقترحات شعب بأسره، وأن قضية الحدود المطروحة تعتبر شرطا أساسيا تتوقف عليه نتيجة المفاوضات من حيث الموافقة أو الرفض.
- 24 أكتوبر 1915م جاء رد ماكماهون ويتضمن اقتراحات ومناقشة لموضوع الحدود، حيث أشار إلى أن بريطانيا ستعترف باستقلال العرب ضمن المنطقة التي حددها الشريف حسين باستثناء أجزاء معينة وتحديدا ولايتي أدرنة والإسكندرونة وكذلك المنطقة الواقعة غرب خط دمشق، حمص حماه، حلب والبصرة وبغداد، وأن تلك المناطق التي ترتبط بمعاهدات الحماية على شواطئ الخليج العربي لا تدرج ضمن النقاشات وكذلك عدن.

- 05 نوفمبر 1915م، أوضح الشريف ردا على رسالة ماكماهون موافقته باستثناء ولاية أدرنة والمناطق الخاصة بالأمراء العرب، ووافق أن تحتل القوات البريطانية العراق لفترة ما بعد الحرب وتلك الأجزاء على أن يكون احتلالا مؤقتا وتدفع بريطانيا مقابل ذلك معونة مالية للدولة العربية الناشئة.
- أعرب ماكماهون في رده عن ارتياحه لاستثناء مرسين من حدود البلاد العربية، لكنه ظل مصرا على تحفظه في موضوع المناطق الساحلية الواقعة في سوريا.
- 1 جانفي 1916م جاء رد الشريف حسين في رسالته الرابعة أن ما يتعلق بقضية العراق، فإنني راغب في تقوية ثقة بريطانيا بنواياها لذلك أدع أمر تقدير المبلغ إلى حكومة بريطانيا، أما بالنسبة للمناطق الساحلية من بلاد الشام فأشار إلى أنه حريص على اجتناب ما يعكر صفو العلاقات مع فرنسا وبريطانيا العظمى.
- 25 جانفي 1916م كان جواب ماكماهون على هذه الرسالة مكررا عما سبقها وأثنى فيها على رغبة الشريف حسين تجنب كل ما من شأنه الإساءة إلى تحالف بريطانيا وفرنسا.

ـــ مناقشة المراسلات:

أ ـ لم يتم التوقيع على أية وثيقة في تلك المراسلات، كما لم يجتمع الفرقاء الرئيسيون فيها.

ب ـ كانت العهود البريطانية في مجملها مميعة ومرنة بحيث لا يمكن اعتمادها كعقود التزام بين طرفين في أي محكمة قانونية، فكانت بداية مشؤومة لتحالف تم إعداده تحت ضغط الحرب.

ج ـــ خلفت تلك المراسلات آثارا سلبية على المنطقة العربية وعلى شعوبها وجعلتها تعاني إلى يومنا هذا.

د ـــ لم يكن ممثلي بريطانيا مستعدين لدفع ثمن الدعم العربي، فكانت هناك مفاوضات أخرى تجري بشكل سري في نفس الفترة الزمنية بين الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس والروسي سيرغي سازونوف لتقسيم تركة الدولة العثمانية بينهم.

خامسا ـــ الإعلان عن الثورة:

بعد التحالف البريطاني الحسيني من أجل إنهاء الحكم العثماني في المنطقة العربية وتأسيس دولة عربية مستقلة وموحدة انطلقت الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، وامتدت من 1916م إلى 1918م

- اتصال الشريف حسين بزعماء الحركات والجمعيات العربية المعارضة:

كلف الشريف حسين الأمير فيصل بالاتصال بزعماء الحركات والجمعيات العربية المعارضة، فأرسله في مهمة إلى إسطنبول في 15 مارس 1915م لإفساح المجال أمامه للمرور بدمشق والاتصال بهذه الزعامات والقيادات، فسافر فيصل إلى الشام والتقى بزعماء الجمعيات العربية واتفق معهم على تفويض الشريف حسين ليكون الناطق الرسمي لهما في أي مفاوضات مستقبلية مع بريطانيا شريطة أن يتبنى برنامجهم السياسي الذي يضم المقترحات التالية:

أ ـ اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الممتدة من حدود تركيا شمالا والمحيط الهندي جنوبا باستثناء عدن وحدود إيران شرقا إلى البحرين المتوسط والأحمر غربا.

ب ـــــ إلغاء جميع الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدولة العثمانية.

ج ـــــ عقد معاهدة دفاعية بين الدولة العربية المستقلة وبريطانيا.

د ـــــ استحواذ بريطانيا على كل المشاريع الاقتصادية في البلاد العربية.

ه ـــــ وقف هذا التعاون في حالة خطر الأطماع الأوروبية والتعاون مع تركيا.

بعد أن قام الشريف حسين بجميع الترتيبات اتصل بالإنجليز وأبلغهم موافقته على القيام بالثورة ضد تركيا إذا تلقى المساعدة الفاعلة، فسارعت بريطانيا إلى طمأنته بأنها تضمن له البقاء في الشرافة على مكة وستحميه من كل عدوان وستقدم له المساعدات التي يحتاجها. وقد أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية سنة 1916م وأذاع منشور أعلن فيه خروج الاتحاديين في تركيا عن الشريعة.

سادسا ـــ نتائج الثورة العربية:

إن المتتبع لأحداث الثورة العربية الكبرى سيلاحظ أن كل ما ترتب عنها كان في صالح الدول الاستعمارية الكبرى وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا،وكمثال على ذلك:

أ ـ اتفاقية سايكس بيكو التي تم من خلالها تعيين مناطق نفوذ الدولتين في المنطقة العربية.

ب ـ قيام بريطانيا بتنصيب الأمير فيصل ملكا على العراق وعبد الله حاكما على شرق الأردن هادفة بذلك إلى استعمار فلسطين والعراق بطريقة غير مباشرة ودون تكلفة كبيرة.

ج ـ سلب سكة حديد الحجاز التي أنشأها السلطان عبد الحميد الثاني من العرب وبالضبط من الشريف حسين، وذلك بعد أن وضعها هذا الأخير تحت تصرف الحلفاء أثناء فترة الحرب.

د ـ استعباد الأمة العربية من طرف بريطانيا وفرنسا وجعل جميع بلادها تحت سلطتهما.

ه ـــــ إضعاف الأمة العربية وقطع أوصالها.

و ـ تضرر العرب بعد مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى وهي حرب لا تعنيهم في شيء، وقد دافعوا بغير سبب ودون مقابل عن مصالح بريطانيا وفرنسا.

ز ـــــ جعل فلسطين وطن قومي لليهود استنادا على أسباب باطلة.

ك ـ رسم حدود سياسية لفلسطين وتمييزها عن محيطها العربي وذلك لأول مرة في تاريخها، ثم جعلها وطنا لليهود.

ل ـ تقسيم كل مناطق المشرق العربي بين فرنسا وبريطانيا ماعدا مكة والمدينة باعتبارهما أماكن مقدسة تثير المسلمين في كل بقاع العالم.

م ـ اكتشف العرب بعد انتهاء الثورة أنهم أنهوا الوجود العثماني واستقدموا الاحتلال البريطاني الفرنسي.

قائمة المصادر والمراجع

أ ــ المصادر:

1- جورج أنطونيوس: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس.
2- أدهم آل الجندي: شهداء الحرب العالمية الكبرى.

ب ــ المراجع:

1- بني الهرجة: صحوة الرجل المريض.
2- ياسين نمير طه: تاريخ العرب الحديث والمعاصر.
3- أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل.
4- عبد المجيد سمور زهدي: تاريخ العرب المعاصر.
5- عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي (1516-1922).

6- كليب سعود الفواز: المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين 1908-1918.
7- الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ،1288 ،1916.

ج ــ المذكرات الجامعية (مذكرات التخرج) :

- تمطاوسين عائشة، زروالة سمية: الثورة العربية الكبرى من خلال مجلة المنار لرشيد رضا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة ـــ خميس مليانة، 2016-2017م.